٤ ـ ألبوم صور

مثقلةٌ بالحزن وخاملة بالوقت، فالوقت يمر كئيباً مصلوباً على جدار الصالة في تكات خاملة»تك تك تك»تزيد من ضجرها، وتفر الدمعات سخينة على خديها وهي تطوف بعذابها في أرجاء الغرفة .. تحتضن لوعتها وتنهدها الحار وجوه الأسرة التي غابت عن حاضرها!! الليل طويل وبطيء يمر عليها حثيثاً يحبو من حولها كحبو طفلٍ في بدايته الأولى !!

الصمت المطبق حط على البيت، فلم يعد البيت هو البيت الذي كان يعج بالصخب والضجيج، وشجار الأولاد وصياحهم المتواصل ليل ونهار !! أصبح كالقبو الموحش الذي تسكنه خفافيش خاملة معلقة في سقفه بلا حراك!! لا تسمع فيه غير تنهيدة أليمة من وحدتها، وخروشة أوراق ألبوم الصور وهي تقلب في صفحاته تستعيد معه الذكريات، تتطلع فيه بعينٍ واهنة في صور ابنتها الوحيدة التي كانت كل دنياها بعد رحيل الزوج، صورها منذ أن ملأ قلبها البهجة بمناسبة سبوعها إلى تخرجها من الجامعة، الدموع تنهمر على الألبوم فتظهر في نظرها صورة زفاف ابنتها مهتزة وضبابية !! ترتعش صفحات الألبوم في يدها

وهـي تقلبـه في لوعـة وعـذاب، تنهمـر دموعهـا عـلى صـورة حفيديهـا حيـث كانـا يشـعان مـن حولهـا بهجـة وسـعادة، تئن في التيـاع وتتشـنج خلجاتهـا، وهـي تسـتعيد تفاصيـل هـذا الحادث الأليـم، الـذي أطـاح بهـذه الأسرة وهـم عائـدون مـن المصيـف، في تلـك السـيارة الجديـدة التـي أشـتراها الـزوج، ولم ينـجُ مـن هـذا الحـادث الأليـم غـير تلـك الطفلـة ذات الثـلاث أعـوام، والنائمـة الآن في وداعـة بجوارهـا واضعـة رأسـها عـلى فخذهـا، تملـس عـلى شـعرها في حنـو، ويغزوهـا ألم أسـيف وتجلـد سـياط الذكريـات الحزينـة قلبهـا الواهـن ندمـاً، بأنهـا فضلـت البقـاء عـلى الذهـاب معهـم !! كانـت تنتظـر عودتهـم بصـور المصيـف بشـغفٍ وشـوقٍ جامـح !! ويملئـوا عليهـا البيـت بهجـةً وسروراً، ويقصـوا عليهـا تفاصيـل الرحلـة في سـعادة تغزوهـا وتؤنـس لياليهـا، ولكـن مـا عـادت إلا صورهـم التـي التقتوهـا في المصيـف !! والتـي سـلمتها لهـا الشرطـة مخضبـة بالدمـاء، فلم تسـتطع أن تضيفهـا إلي الألبـوم !! تتمتـم في عـذاب وتتمنـى بـأن يأتيهـا المـوت ليرحمهـا مـن تلـك المأسـاة، وينهـي تلـك الوحـدة القاتلـة التـي تحياهـا منـذ فراقهـم !! تلقـي نظـرة حزينـة عـلى صـورة أليفهـا المعلقـة عـلى الجـدار بشريطهـا الأسـود، الـذي وضعتـه الابنـة يـوم رحيلـه، توهنهـا الذكريـات فتغلـق ألبـوم الصـور في أسـى !! وتتنهـد في شـجن، وتتمنـى اللحظـة التـي تضـع حـدَّاً لمأسـاتها، وتقربهـا مـن لقياهـم، ولكـن في لفتـة سريعـة تلقـى نظـرة شـفقة عـلى حفيدتهـا النائمـة عـلى فخذهـا،

وتتذكر أن عليها رسالة يجب أن تؤديها معها، ترفع كفيها للمولى متضرعة أن يعينها على أداء تلك الرسالة، بينما ترتفع تواشيح الفجر من المسجد القريب من البيت .

القاهرة في ١٩ / ١ / ٢٠١٦